

III- زمن البحث عن الهوية والوطن:

الجدول 01:

النص	اللفظ	التردد	الصفحة
أردنية فلسطينية في انكلترا	الأردن	2	411
	وطن	3	412×1 413×2
	ها هنا	2	413×2
	الجدور	2	413×2
	العيون	2	413×2
	القوم	2	412×1 413×1

يبدأ سؤال الهوية من التعقيم والتغيب الممارس ضد الإنسان الفلسطيني؛ فهو يحمل جنسيةً أردنية ليتمكن من الخروج إلى العالم. وإن ذُكرت فلسطين تعين أن تكون عند المخاطب إسرائيل!

—(-: أنا من روابي القدس

وطن السنى والشمس

—: يا، يا، عرفت إذن يهودية.

يا طعنةً أهوت على كبدي<sup>(1)</sup>

من هنا يبدأ الصراع الذي لا ينتهي، فقد ذكّرتنا الكلمة الطعنة بالحقيقة :

—(أني من الأرض التي تمزقت-----[الانتماء الجغرافي]

أني من القوم الذين-----[الانتماء العرقي]

من الجدور اقتلعوا، من الجدور-----[الحو/التغيب]

وأصبحوا على مدارج الرياح

مبعثرين ها هنا وها هنا-----[الشتات/المخيمات/اللاجئين]

لا ينتمون إلى وطن!!

حقيقة فيها نغالط النفوس-

ندّعي

<sup>1</sup> - الديوان ، ص412.

أنا كباقي الآخرين

قوم لنا وطن<sup>(1)</sup>-----[الحقيقة عندها وعند الآخرين]

تلمح الشاعر إلى الصمت الدولي تجاه قضية إنسانية عادلة، ومعروف فيها الظالم والمظلوم، وتعلل ذلك كله بالرؤية التي أتى عليها دخان لندن وضبابها:

- هنا الضباب والدخان في بلدكم

يلفلف الأشياء.. ويطمس الضياء..

فلا ترى العيون غير ما

يُراد للعيون أن تراه<sup>(2)</sup>

وهو الصمت نفسه الذي كرّس مأساة الإنسان باغتصاب الأرض وهتك الهوية الأصلية، واستحداث أرض بديلة وهوية جديدة، وأسس للتشتت والضياع، وقلل من مشروعية الحق المهضوم، فلم يعد للانتماء العرقي والجغرافي أي باعث في هذا الصراع، وعدت حركة الاستبدال للأرض والهوية انتفاءً لحق المطالبة به، وانتهاءً للإشكال القائم، وهو ما يفسر نعمة تحميل المسؤولية الإنسانية لهم، وتعمدهم هذا الوضع المرغوب عنه بوصفه مفروضاً، ويبرز الكفاح والنضال بوصفهما وضعاً مرغوباً فيه. إن التقابل في المواقف يذكي الصراع من جهتين:

- الأولى أن يعترف المتسببون في إحداث هذا الوضع بخطئهم التاريخي، ويحملهم ذلك على تصحيحه.

- الثانية أن يعترفوا بمشروعية النضال من أجل استرجاع الهوية والوطن.

تتكرر هذه الصورة بكل أجزائها في النصوص التالية:

1. (رؤيا هنري)<sup>(3)</sup> الجدول 02:

اللفظ	التردد	الصفحة
رؤياك	4	416×2 418×2
العيون	4	414×1 415×2 416×1
عينيك	1	418×1
عالم	3	416×2

<sup>1</sup> - الديوان، ص 412-413.

<sup>2</sup> - الديوان، ص 413.

<sup>3</sup> - الديوان، ص 414.

417×1		
415×2	2	أرضنا
414×2	2	الخيوط
415×2	2	الملح
416×1	2	الأعماق
417×1		
415×2	2	نبح
415×2	2	الحب

يعين التكرار رؤية العيون وما ترسله من خيوط للأمل المنبعثة من الأعماق (الصورة/ Portrait) عالما مثاليا محبوبا عند الإنسان فيه الإنصاف والعدل وروح الإنسان المحبة، وإنما يستنهض هذا العالم في نفسها المأساة المعيشة، فلم تر إنصافا عند الغربيين إلا فيه؛ فأعدت القضية إلى السطح مع (أرضنا) بما تضيفه النسبة من أثر، ليكون حديث الملح وضع ما بعد الاحتلال الذي يقتضي عودةً إلى ما قبله. (الجدول 03):

التركيب	التردد	الصفحة	التأصل/الثبات
كدوحة راسخة بعيدة الجذور	2	417×2	التأصل/الثبات
النصر للإنسان، للجد	2	418×2	الحقيقة

يعين تكرار التراكيب الرؤية راسخة متأصلةً ثابتةً عميقةً بوصفها فكرة يتمحور حولها الوجود الإنساني، فبدت دوحةً أصلها ثابت بعيد الجذور، يتعين معها النصر المرتبط بالصبر والجلد، وذلك هو الإنسان في مواقفه ورؤاه.

لقد وجدت الشاعرة في لوحة الفنان (وليم فولكنر) دفعا للحيرة والتهيه، وقد استمد منها الإنسان الغربي معالم حياته، فلم لا يكون الأمر عينه مع الفلسطينيين، فهي مماثل يدعوهم إلى الاتعاظ بها بوصفها حاملةً لرؤية تحرير الإنسان<sup>(1)</sup>، وهم:

-(نحن الحيارى التائهون)-----[حياة التشتت]

نحن اليتامى الخائفون-----[لا مأوى/لا نصير]

..... نحن العطاش جف فينا النسغ -

<sup>1</sup> - ينظر الديوان، ص475، فيما علقت به عن (رويا هنري) وفيها: (تظهر أعماله النفاذة الحادة اهتماما شديدا بجميع الأنماط البشرية؛ فهو يتوغل في أعماق روح الإنسان يقاسمه فرحه وألمه، يسجل الحنان والشجن والفكاهة والصدمة في لوحة واحدة تخرج مزيجا من كل المشاعر التي عرفها الإنسان). هي رؤية تتعدى الذاتي إلى الجماعي وتعايق الكوني بتغليب روح الإنسان.

ماتت الجذور<sup>(1)</sup>-----[الحاجة/العوز]

إن الحاجة والعوز هنا لا تعني أبدا البعد المادي بقدر ما تعني البعد الروحي والنفسي الذي يعطي لكل تصرف مسؤول قيمته الحقيقية؛ ففوق الحال المفروضة تتطلب حالا تعقبها كما تظهرها لوحة فولكنر:

- (رؤياك عالم معافى الروح-

(... رؤياك عالم صفت

آفاقه من الغيوم

(... انتصر فيه الإنسان فيه حطم السدود

ودمر الحواجز الصماء والحدود

(... رؤياك نور خالد يفيض لا يغيض)<sup>(2)</sup>

يتعين من هذه الرؤية الإنسانية انتصار الإنسان على الإنسان، الانتصار الذي لا يثير غضبا ولا رفضا، بل يحقق العدل وينشر السلام، وتتآخى وتتعايش فيه البشرية على مبدأ الحب والصفاء، من دون تهميش لأمة ولا إنكار لهوية ولا قسر على مرفوض، ليتحدد انسجام الإنسان مع العالم الذي يعيش فيه من غير إحساس بالظلم ولا بالتحيز ولا بفقدان هويته وأرضه (الوطن).

2. (في ليلة مطرة)<sup>(3)</sup>: (الجدول 04):

اللفظ	التردد	الصفحة
لماذا	2	426×2
الرياح	4	426×2 427×1 428×1
المطر	5	426×1 427×1 428×3
الشجر	2	426×1 428×1

إن الحدث محصور في هطول الأمطار وهبوب الرياح على الشجر، وتساؤل لمعرفة علة ما. فإذا كان الشجر صورة للأرض (المكان)، وكان المطر رجاءً لحياتها، فإن الرياح تفسده، فيجد التساؤل

1 - الديوان، ص 415. والتكرار مبني على التوازي النحوي والسطر الأخير رغم المخالفة يتشاكل مع السابقين دلالةً ويزيد عنهما لفظاً، والصفة فيهما قد تعادل الجملة الحالية فيه.

2 - الديوان، ص 416-418.

3 - الديوان، ص 426.

موضعا له. لتكون الصورة الكلية صراع بين الرجاء الذي تصلح به الحياة وتتجدد وبين المفسد الذي يعطل كل حادث جديد. وهذا وجه احتمال.

والوجه الثاني أن يتعلق النفع بالشجر والمكان من غير الإنسان مما يسوّغ التساؤل. غير أن ارتباط الحدث -في الوجهين معا- بالليل الماطر يوحي بوجه آخر يتعلق بغائب لا يظهره التكرار اللفظي المفرد، وقد يبدو مع التركيبي منه..(الجدول 05):

التركيب	التردد	الموقع
وتهمي ذكّر	3	426×3
ويهمي مطر	3	428×3

يجيل محمول الجدول على ورود لصور ذكريات ماضية كما يهمني المطر من غير انقطاع، فيكون الناقص -بالإجمال- الذكريات المتداعية، بوصفها استجابات لمثير هو المطر. وأما طبيعتها فهي محمول الملفوظ الشعري التالي:

- (لماذا يغلف قلبي الأسي -

في ليالي المطر

لماذا إذا عصفت في الشجر

رياح الشتاء أمت طيوف -

الأحبة بي من وراء الحفر)<sup>(1)</sup>

يعين الملفوظ ثلاثة وجوه:

أولها: تذكر الراحلين ممن فارق الحياة أقارب كانوا أم أصدقاء ورفاقا، بقريئة (وراء الحفر).

والثاني: -وبنفس القريئة (وراء الحفر)- العيش مع من يحمل السلاح مدافعا عن الأرض المغتصبة، فيأسى قلبها عليهم، وهم يكابدون المطر والرياح في العراء.

والثالث: تذكر اللاجئين في المخيمات الذين حرموا حق العودة وحق العيش الكريم في وطنهم، وهو الأرجح؛ لأنها كانت تعيش في لندن ظروفًا معيشية غير ظروفهم، رغم تشابه الكل في الاغتراب كما سيظهر، ونظرا لقولها الصارف إلى هذا الوجه:

- (أحباي تحت الرياح وتحت المطر

<sup>1</sup> - الديوان، ص 426

أصغي إلى وقع أقدامهم في الممر

(...) بعيني منهم صور

أقبل هذا الجبين وأمسح ذاك الشعر

وألمس كُمَّ قميص دفيء

أشم رباط عنق

وألمح أعينهم بالأمانى تبرق-

(...) وأسمع تلك القلوب الطموحة-

تنبض بالمنتظر<sup>(1)</sup>

وهي الحقيقة التي يعيش عليها اللاجئون إلى أن يحين النصر والعودة إلى الأرض المحررة، حينها ينتهي حديث الشتات والضياع وينعمون بالهوية والانتماء إلى وطن.

3. (أمام الباب المغلق)<sup>(2)</sup> : (الجدول 06):

اللفظ	التردد	الموقع
الملك	8	441×2 442×2 443×4
قضى	2	441×2
هوى	2	443×2
الليل	4	444×2 448×1 449×1
الصمت	5	450×2 449×1 445×2
تنأى	2	446×2
أيام	3	446×2 447×1
الحب/حبي	8	446×5 447×5
مصباحي/مصباح	1+3	447×3 447×1
الباب/بابك	5	448×2 449×2

<sup>1</sup> - الديوان، ص 427. لا يتعين هذا المعنى بقراءة النص منفرداً، ولذلك أورد التكرار جملة الاحتمالات الواردة في المتن بوصفها مدلولات تقبل تلك الدوال وتوافقها.

<sup>2</sup> - الديوان، ص 441.

	450×1		
أطرق	448×2	2	الطلب: الرجاء/الأمنية/المطلب
البيت	449×3	3	المأوى
سكينة	449×2	2	الغاية
طمأنينة	449×2	2	الغاية
الظلمات	445×1	2	الاحتلال/المعاناة
	446×1		
عارية القلب	444×2	2	الوسيلة/حال الاستعطاف
رحابك	450×2	2	القرب
	449×1		

يفضي التكرار إلى تعاقب فعل وردة فعل؛ فأما الفعل فيكمن في التقرب من صاحب القرار، بالاستعطاف والرجاء والمطالبة والتمني ورفع الشكوى إليه (أطرق وبابك، ورحابك)، ليتعلق الموضوع -بوصفه حدثاً- بالاحتلال (الليل، والظلمات)، وبافتقاد القيمة المعنوية (الحب) والنور (المصباح= [الحرية])، لتكون الغاية هي السكينة والطمأنينة والمأوى (البيت). وأما ردة الفعل، فتكمن في السكوت والرضى (الصمت)، والبعد (تنأى) ليتكسر الحكم السائد، وتبقى حال المعاناة والاحتلال قائمة، مما حوّل الترجي والاستعطاف في المطالبة إلى سخط (هوى) يتعين معه الثورة على السلطة الظلمة.

والظاهر أن مدار الحديث كله الاحتكام إلى انكلترا (الملك)، ومطالبتها برفع الوضع الذي تسببت فيه، غير أنها فقدت السيطرة على ما كانت تدير دواليبه، ولم يعد الحكم لها وحدها، بل تعدها إلى غيرها، ولذلك يأتي البعد والسكوت مسايرةً للكائن والموجود بالقوة، وهي بذلك تساير التاريخ من زمن القوة وفرض الأحكام إلى زمن السقوط والرضى بالمشاركة دون صنع القرار. (الجدول 07):

التركيب	التردد	الصفحة
فلا تجدفوا	2	441×2 القناعة/زمن القوة
لكن أنت تغيرت	2	443×2 التحول
ليسقط الملك	2	443×2 النقمة
مَن ينقذني من هذا الخوف	2	444×2 تساؤل...سؤال/استعطاف
لكن رحابك مغلقة في وجهي، غارقة في الصمت	2	449×1 الصد 450×1
وتقييم من الظلمات جداراً فوق جدار فوق جدار	2	445×1 الصد 446×1

في زمن القوة كانت القناعة تقضي بالتسليم لإرادة الملك (انكلترا) في كل ما أراد له أن يكون، فلما حدث التحول بعد الحرب العالمية الثانية، تغير الوضع، واتجه إلى الصد والرغبة عن تحقيق مطالب المظلومين، مغلبا فكر المصالح، غير آبه بإرادة الشعوب وحقها في الحياة، كما اهتم بأمور بعضهم وفضلهم على كثير (اليهود) إذ:

- (كل شيء دبته حكمة الملك

(... الخير منه وحده

والشر منه وحده)<sup>(1)</sup>-----[الزمن الغابر]

فزرع الضياع ونشر البؤس والخوف، وحرم الناس من الوطن:

- (هُمَّلا، لا زاد ولا مأوى)<sup>(2)</sup>-----[الضياع]

- (لو تغسل عربي بالأمطار

لو تؤويني وتدثرنني

لو تجعل لي من نور حضورك

مأوى يحميني ودثار)<sup>(3)</sup>-----[المطلب=الحق في المأوى في الوطن... في الهوية]

- (مرتعد قلبي بالخوف

أبدا مرتعد بالخوف-----[الخوف من الصد وخشية عدم التحقق]

(... أبدا أرضي تهتز، تميد

تدور بلا محور)<sup>(4)</sup>-----[الديمومة]

- (بالحب سألتك حبي ذاك الساذج-

حبي ذاك النضر

(... بالحب، بذاك الحب سألتك أرجع لي

حبي...)<sup>(5)</sup>

1 - الديوان، ص 441-442. والتوازي النحوي في الملفوظ ظاهر.

2 - الديوان، ص 443.

3 - الديوان، ص 448.

4 - الديوان، ص 444.

5 - الديوان، ص 446-447.



ما يكون الحب هنا غير الوطن، الوطن الذي سلموه لغير أهله، وما السؤال بالحب إلا حب الوطن عندهم-الانكليز-فهم الذين سكتوا من أجل الحفاظ على وطنهم، ورضوا بما تجود به مساعدات أمريكا في بناء التكتل الرأسمالي الغربي، فانقضى زمن القوة، وصاروا الحاضر الغائب، الملتزم بالصمت، الذي لم يعد يصنع القرار:

- (يا نائي الدار

يا غائب، يا أبدي الصمت)<sup>(1)</sup>

- (عبثاً، لا رجوع صدى لا صوت

عودي. لا شيء هنا غير الوحشة-

والصمت وظلّ الموت)<sup>(2)</sup>-----[القناعة الجديدة]

تأسس القناعة الجديدة على الوضع الدولي الجديد، بما يلزم أن تغير القضية منهجها في المطالبة بالحقوق المهضومة. وعلى هذا الأساس؛ فإن المتحدث هنا ليست الشاعرة بصفتها المفردة، وإنما هي صوت القضية الفلسطينية بلسان الشاعرة<sup>(3)</sup>، كما نجدتها في:

4. (في العباب)<sup>(4)</sup> :

تؤكد في هذا النص قصة التحوال واللجوء والمخيمات واللاوطن وانعدام الهوية، رغم التعاطف الإنساني من هنا وهناك، والذي لا يرجع حقاً تنعم به كل الشعوب. فجاءت الحياة صراعاً مع موج البحر الغاضب، إبحار دون رسو حتى تلاشى الوجود في ذاك العباب وصار جزءاً منه:

- (تلاشت الوجوه حولنا

وغابت الأشياء ذلك المساء

إلا الوميض الأزرق المشع في

عينيك والنداء

في الأزرق المشع مبحر

وراءه قلبي سفينةً

يشوقها العباب

<sup>1</sup> - الديوان، ص 444-445.

<sup>2</sup> - الديوان، ص 450.

<sup>3</sup> - الشاهد في الصفحة 590 من الديوان في (نبوءة العرافة) شبه تهميش تؤكد فيه أن المتكلم (فلسطين ما بعد التقسيم، والفلسطينيون، والقضية الفلسطينية، تتشابه كلها في شخصية واحدة هي التي تتكلم).

<sup>4</sup> - الديوان، ص 467.

(...) بحر بلا شواطئ

يمد، لا يحد

ولا يرد، يقص فيه الموج قصة الحياة-

والأبد<sup>(1)</sup>

فإذا البحر حياة ووجود والعباب صراع، وما انتفاء اليابسة إلا انتفاء الأرض، التي تظهر عندما يُهزم موج البحر ويهدأ مسلماً ومستسلماً أمام ثبات الأرض وهي تلفهم-المظلومين- بالسكينة والطمأنينة.

5. (إلى الشهيد وائل زعيتر)<sup>(2)</sup>:

تأكد صورة افتقاد الوطن والهوية في الملفوظات التالية:

- (... كان يعطينا على جوع، تملمنا

وغطانا الخجل

وبقينا في العراء

دون ستر أو غطاء

من يغطي عربنا

يسبل الستر علينا يا بطل؟! <sup>(3)</sup>

- (أنت يا ملقى بلا أهل بلا أرض على

أرصفة الغربة ملقى نازفا تحضن

في الصدر بساتين الوطن

وسماوات الوطن

والسهول الحالمات

(...) قمرا يسطع في ليل الشتات

أنت يا من قلت (لا) للموت والتيه

وللوجه الذي عشرين عاما ظل مسروق

<sup>1</sup> - الديوان، ص 467.

<sup>2</sup> - الديوان، ص 607.

<sup>3</sup> - الديوان، ص 607-608.

الهوية

أنت يا شمس القضية

(١٠٠) يا بعيدا وقريبا

يا فلسطيني أنت!

أيها الراض للموت هزمت الموت حين

اليوم متّ (1)

إن الهوية قيمة مفتقدة كالحرية لا تعود إلا مع عودة الوطن، وعودة الإنسان الفلسطيني من المخيمات إلى أرضه، لتنتفي المحنة وتزول علة الشتات والضياع، ويتساوى الفلسطيني بغيره من سكان هذا العالم، وهو ما يقتضي حلا منصفًا، يتحقق بالجهود الدولية تكفيرا عن الذنب، والضغط الداخلي حقا مشروعًا.

لقد دأبت الشاعرة في تعيين هذه الحقائق على أنواع التشاكل والتباين الممكنة، كما كان الأمر مع التكرار اللفظي والتركيبي (تشاكل لفظي تركيبي)، ليتعيّن في هذا المستوى البحث في التشاكل المعنوي، والتباين اللفظي والمعنوي، لأن التشاكل اللفظي مرّ مع التكرار. والأمر منوط بكيفية أداء المعنى وليس بالمعنى ذاته، فقد تعيّن سلفًا مع السابق من التكرار اللفظي والتركيبي.

أ- التشاكل المعنوي:

الجدول الآتية ترصد التشاكل المعنوي في القسم الثاني من الديوان:

الجدول 01:

النص	تشاكل معنوي
مدينتي الحزينة	(الموت/الخيانة)، (الصمت/الليل)
إلى صديق غريب	(الهزيمة/الانكسار)
الطوفان والشجرة	(الإعصار/الطوفان)
حي أبدا	(العذاب/الألم/الظلم)، (يقفأوا/يفقأوا/يسرقوا/يحرقوا)، (الأحلام/الأمل/البناء/العمل)، (شقائنا/عذابنا/حزننا)
رسالة إلى طفلين	(مقيد/أسير)، (التتر/السجان/النازي/النازية)، (الشوك/الصبار)، (الشتات/الضياع)
السيد المسيح	(الأحزان/الآلام/المحنة)
الفدائي والأرض	(الذهول/الضياع)

<sup>1</sup> - الديوان، ص 610-611.

لن أبكي	(فوضى/حطام/أطلال)، (أحبائي/أخواتي)، (الغد/الحلم)، (غياب/ هجرات)، (البوم/ الأشباح)، (الدمع/الأحزان)، (اليأس/الجرح)، (النحس/العنمة)، (الغليان/الغضب)، (الأشباح/الغربان/الظلمة)
إلى الوجه الذي ضاع في التيه	(الليل/الهزيمة)، (الحب/الفرح)، (الأسى/الصمت)، (دخان/حطام)، (لهيب/شرر)
حمزة	(البسطاء/الطيبين)، (مخاض/ميلاد)، (الأمن/السلام)،
خمس أغنيات للفدائيين:	(الحطام/الأنقاض)، (المخاض/الميلاد)، (الغدا/الصباح)، (الدماء/الجراح)
كيف تولد الأغنية	(المعذب/المصهور)، (النقي/البلور)
حين تنهمر الأنباء السيئة	(الريح/الإعصار)، (الصخور/الأحجار)
عاشق موته	(الفداء/العطاء)
كفاني أظل بحظنها	(أموت/أدفن)، (أذوب/أفنى)
حرية الشعب	(القيد/السلاسل)، (السجن/زنزانة)، (التعذيب/مشانق)، (اللهب/حرائق)
حكايا لأطفالنا	(وضوء/صلاة)
جريمة قتل في يوم ليس كالأيام	(حذفوها/طمسوها)، (قتلوا/صلبوا)، (مساجدها/كنائسها)
أنشودة الصيرورة	(إنجيل/قرآن=الكتاب المقدس)، (الأسود/الليل)، (الضوء/الشمس)، (الموت/مشنقة)

صنع التشاكل المعنوي فضاءات عدة تتعين معها الحال المعيشة:

1. فضاء الحزن والشجن والانكسار الذي يتساق مع الضيق والانحسار النفسي، كما في ألفاظ: (الهزيمة/الانكسار/الخيانة/العذاب/الظلم/شقائقنا/عذابنا/الأحزان/الآلام/المحنة/الذهول/الضياع/الدمع/اللهب/حرائق/اليأس/الجرح/الأسى/الصمت).
2. فضاء الموت والإهدار والإفناء المتساق أيضا مع الضيق والانحسار النفسي، كما في ألفاظ: (الموت/الإعصار/الطوفان/ يقتلوا/يفقأوا/يسرقوا/يحرقوا/فوضى/حطام/أطلال/غياب/هجرات/الأشباح/الغربان/الدماء/الجراح/الحطام/الأنقاض/حذفوها/طمسوها/قتلوا/صلبوا/الموت/مشنقة/مشانق/الموت/مشنقة).
3. فضاء الأمل والحلم بالنصر واليقين به، ويوافقه بالضرورة الرضى والاتساع النفسي، كما في ألفاظ: (الأحلام/الأمل/البناء/العمل/الغد/الحلم/الغليان/الغضب/الحب/الفرح/الأمن/السلام/المخاض/الميلاد/الغد/الصباح/الفداء/العطاء/الضوء/الشمس).

4. الفضاء المغلق الذي يُسيِّج الحياة ويوقعها تحت رحمة الغبراء، كما في ألفاظ: (الصمت/الليل/العذاب/الأم/الظلم/الظلمة/مقيد/أسير/البوم/الأشباح/الغربان/دخان/حطام/المعذب/المصهور/الأسود/الليل/التتر/السجان/النازي/النازية/القيد/السلاسل/السجن/زنانة/التعذيب).

5. الفضاء المفتوح الذي يصنع قبس التحرر والانطلاق دون الاعتداد بالفضاء المغلق، كما في ألفاظ: (الفداء/العطاء/أموت/أدفن/أذوب/أفنى/وضوء/صلاة/إنجيل/قرآن = [السند الروحي]).

تتقابل هذه الفضاءات فيما بينها لتتصارع ولتصنع الصراع بين الواقعين المفروض والمأمول؛ لأن الفضاء المغلق يتيح فرصة الانطلاق من خلال فعل الرفض والثورة في الفضاء المفتوح، وفضاء الانكسار والإفناء يعطي الأمل في النصر وتغيير الحال. وينتج عن ذلك ضرورةً التقابل بين الانحسار والاتساع النفسيين بوصفهما زمنين يتعالقان مع الشعور، بما يؤدي الحسَّين المأساوي والسحري عند كل حدث.

يصنع هذا التقابل نمواً وتطوراً في الحكيم المرتبط أصلاً بواقع الحياة اليومية عند الشاعرة، وقد أدركت هذه الفضاءات وما بينها من صراع، فأدتها على ذلك، رغم أن الواقع المعطى يصوّر حالاً غير هذه. ولذلك يتعين الفضاء المفتوح واقعا مأمولاً ليتم رفع الفضاء المغلق وما جاوره من فضاءات الانكسار والشحن والإفناء بوصفها جميعاً واقعا مفروضاً مرغوباً عنه، وهو ما يحقّق التحوّل الذي يعيد الوضع إلى حالة الاتزان.

لقد جرت الشاعرة على تكرار وتشاكل الملفوظات الشعرية قصد تثبيت هذه الحقائق لتكون محمول التباين اللفظي والمعنوي كما كانت مع التشاكل.

#### ب- التباين اللفظي:

الجدول 02:

النص	التباين اللفظي
مدينتي الحزينة	(الصمت/الأغاني)،(الرجاء/البلاء)
إلى صديق غريب	(الأمس/الآن)
الطوفان والشجرة	(هوت/باقية)،(هوت/ستقوم)
حي أبدا	(الموت/الحياة) (العذاب/الأحلام)، (الأم/الأمل)، (حبنا/عذابنا)، (الضحكات/الجرح)
رسالة إلى طفلين	(أطير/أسير)،(أطير/مقيد)،(خيال/واقعي)،(الحب/المرارة)
إلى السيد المسيح	(الأفراح/الأحزان)،(يدنس/يطهر)،(صمت/أفراح)،(الشمس/الليل)

## الفصل الخامس: التأويل الحر... التكرار

الفدائي والأرض	(أكتب/أقول)، (الهم/المنى)، (الأخذ/العطاء)، (السماء/الأرض)، (الدماء/الفرح)
لن أبكي	(الهجران/الحب)، (الغد/الأمس)، (الشمس/العتمة)، (رحلوا/القاطنون)، (الظلمة/الشمس)
أهات أمام شباك التصاريح	(الحقد/الحب)
إلى الوجه الذي ضاع في التيه	(اليوم/غدا)، (نبتسم/نبكي)، (الحزن/الفرح)، (النور/الظلمات)، (حياة/موت)، (الليل/القهر)، (الحب/عذاب)، (ليل/نور).
حمزة	(نحيا/يموت)، (صرخة/سكوت)، (ارتفعت/هوت)، (الدمع/ضحكات) (الأمّن/الأفعى)
خمسة أغنيات للفدائيين	(الليل/غدا)
حين تنهمر الإنباء السيئة	(الليل/النهار)، (سوداء/النهار)
عاشق موته	(يطير/يهوي)، (يهجر/تسترد)
كفاني أطل بحظنها	(أموت/أبعث)، (أدفن/أبعث)
حرية الشعب	(الليل/الضياء)
حكاي لأطفالنا	(الموت/الحياة)
ذهب الذين نحبهم	(ارتوينا/ظامئين) (صمتا/كلمات) (الفجر/الموت)
جريمة قتل في يوم ليس كالأيام	(القديم/الجديد)، (ابتدا/انتهى)، (يوم/أمس)، (الغصن/السيف)
أنشودة الصيرورة	(الموت/يحيا)، (هدم/بناء)، (العابد/المعبود)، (يعبر/يرجع)، (الليل/الفجر)

حملت التباينات ما حملته التشاكلات سابقا، وأكدت صور الفضاءات المتصارعة، وبدت في شكل ثنائيات:

1. (الليل/النهار) أو (النور/الظلام) الدالة على الاحتلال والاستقلال استبدالاً كما سبق بيانه،

ويندرج تحتها موافقا لليل أفاظ البلاء والصمت والظلمة والظلمات والعتمة، والفعل يدنس. ويوافق النهار الرجاء والشمس والأفراح والفجر والنور، والفعل يطهر.

2. (الحياة/الموت) للدلالة على واقع الحال، وللحياة منها: ستقوم ونبتسم ويعبر ويرجع

وارتفعت، وأفاظ: باقية والقاطنون والمنى والحب. وللموت: ارتوينا-لورودها منفية في الخطاب-، وهوت ورحلوا. والألفاظ: ظامئين والهم والدماء والهجران والصمت. وفي

الحياة ثنائية:

3. (الفرح/الحزن) ف: نبكي ويهوي ويهجر، و: العذاب والألم والجرح والمرارة والحقد والدمع

ولفظا أسير ومقيد مصروفة للحزن والشجن. وأطير ويطير وتسترد، والأحلام والأمل والحب والضحكات مصروفة للفرح والغبطة. وتندرج تحتها ملفوظات: أدفن وأبعث

لدلالاتها على رغبة داخلية وأمل يؤدي تحققة الغاية المنشودة، إما الشهادة زمن الاحتلال، وإما الدفن والبعث فيها زمن النصر. والكل مرتبط بالزمن الآت الذي يعادل الزمن الماضي -قبل الاحتلال- ويختلف عن الحاضر.

4. (الأمس/اليوم) للدلالة على المقارنة الزمنية، فحال اليوم قهر وعذاب وسكوت. وحال الأمس حب وأمن وسلام، وهي قيم غائبة، يُرجى تحقّقها في المستقبل، فقد انتهى كل قديم وابتدأ الجديد مع الصرخة والسيف وغصن السلام.

لقد انبثقت هذه الثنائيات من لوحات شعرية، عكست انفعالات الشاعرة ورؤاها الخاصة؛ إذ تَعَزَّزَ التضاد، وبعث فيها حيويةً وحركةً؛ فالموت المرتبط بالمحتل، حمل الخراب والدمار، فصارت الحياة مقترنةً بالضعف والعبودية المرفوضة عند الشاعرة، والصورة معتمة قد كستها الظلمة من ردائها، فهي تحتاج مَنْ يمنحها الإشراق والابتهاج، ولا يكون ذلك إلا برفع حال الاحتلال. وعلى ذلك كان بناء المعجم اللغوي في الخطاب الشعري متميزاً بحقوله الدلالية الأربعة: حقل الطبيعة وحقل الاحتلال وحقل المكان وحقل الحزن والشجن والاغتراب.

### ج- المعجم الشعري:

بُني الخطاب الشعري عند فدوى طوقان في شقّه الثاني على معجم شعري مُستوحى من الأحداث المعيشة، عبّرت به عن حالها وحال الوطن والإنسان في شتى أزمنة الانفعال، وهو يقوم على أربعة حقول:

#### 1- الحقل الدال على الطبيعة:

يرتبط استخدام الطبيعة وعناصرها -حيةً وصامتةً- في الشعر مع المد الرومانسي، لاستلهاام الشعور المرافق للأحداث منها بوصفها أمّا من خصائصها تستمد كل الكائنات حاجياتها، وفي انفعال الشاعرة تُعايش الطبيعة القضية نضالاً وغضباً واستشهاداً. وهو البيّن في المحاور التالية:

#### 1.1- الطبيعة الحية (النبات بأنواعه):

الجدول 03:

ص	ما دلّ على القبول والرضى	ما دلّ على الاستهجان والكرهية
482	الغلال/الثمار	
483	الأشجار	
487	الشجرة	

## الفصل الخامس: التأويل الحر...التكرار

	الشجرة 3× / الجذع	488
	الشجرة 3× / الأغصان	489
	القمح	493
	القمح 2 × / الثمر	494
	زهر / الشقائق الحمر والزرق / الحبق البري / قرن الغزال	495
	الشوك / الصبار	496
	غرسة	509
	الشوك	511
	زهر	514
	بذار القمح	516
	حنظلا	531
	الزهر	533
	ورود	535
	شجر التفاح	536
	بساتين الزهر 2 × / الأثمار / الأزهار	537
	أشواك	540
	غابات [الرماح السمر]	541
	رمان	541
	نخلا / سنابل	543
	وردة	548
	شجرة المرجان	552
	عشبا / زهرة 2 ×	553
	شجر المرجان	559
	غصنا	561
	شقائق حمر / باقات ورد	562
	نخلة / الفستق / الأغصان	565
	شجر الحناء / زهرة عباد الشمس / الشجر / غاب الليل الموحش / الصبار المر	567

بدا النبات -طبيعة حية- إما مقبولاً مرضياً عنه، وإما مستهجنًا مكروهاً؛ ليمثل الأول خيرات تبث في النفس راحةً وطمأنينةً نفسيةً، من أجلها حلّ الاحتلال بالديار للاستئثار بها دون أهلها والاستيلاء عليها، واستعباد أصحابها أو تهجيرهم لتنتفي المطالبة بما هو حقُّ لهم، فتحوّل بعد نهبها غصات في الحلق لا تزول إلا بزوال غاصبها، أو تصير شوكا وعلقا وصبارا وحنظلا وزقوما بعد أن كانت شجرا وقمحا وتفاحا وشقائق النعمان.

إن الشجرة بكل ما تحملها من قداسة في فلسطين قد ارتبطت بالزيتون والليمون والبرتقال اليافاوي والصفصاف، وإنما ترد بمسمياتها، لأنها تمثل الوطن فقط...خالداً بها...ومُمَيِّزاً بها عن غيره، وتديلاً على عراقية المكان، حتى تحوّل الإنسان في كفاحه ومقاومته شجراً :



- (صاروا الشجر الضارب في الأعماق الصاعد نحو الضوء  
الواقف في الريح الهوجاء)<sup>(1)</sup>

فالثائرون ثابتون ثبات الشجر الضارب في عمق الأرض تأسلا، راجيا ضوء الحرية هدفا، لا تثنيه رياح  
الاحتلال. وليس في هذا الاستخدام إلا ربط القضية بالأرض وما رقى عليها من جنسها، مما فيه  
حياة، نحو الزهر(الشقائق الحمر/الشمر/الحبق البري/عباد الشمس/قرن الغزال...) الذي تحوّل من  
نبات رقيق يمنح لناظره الشعور بالرضى والأمان إلى كائن يرنو إلى الحرية يحوي الإنسان ذاته، بل صار  
الإنسان زهرا يكتسب من صفاته - الزهر - ما يؤدي رفض الواقع المفروض والتمسك بالحرية:

- (صاروا زهرة عباد الشمس

...) صاروا الصوت الراض صاروا

جدلية هدم وبناء

صاروا الغضب المشتعل على أطراف الأفق المسدود)<sup>(2)</sup>

فاستحقوا لقب (غابات الرماح السمر) للدلالة على الكثرة وقرب الغلبة والنجدة، وهم الذين  
يعشقون التحوّل إلى ما يمنح الحياة والتجدّد مع الفصول:

- (كفاني أظل بحضن بلادي

ترابا

وعشبا

وزهرة)<sup>(3)</sup>

ويجري على القمح ما جرى على الزهر من حياة وتجدّد ونعمة:

- (والخصل الشقراء مثل القمح مثل

موسم الحصاد في حقولنا)<sup>(4)</sup>

وهي النعمة الممحوّة في الواقع المفروض، فقد فقّد الناس الإحساس بما ييئ فيهم الحياة، وظهر الحنين  
للماضي رغم اقتران القمح والحصاد بمواسم الخصب والنماء، حيث عطاء الأرض وسخاؤها،  
وطمأنينة الإنسان وسعادته، وفيها يكون القمح هو الحياة.

1 - الديوان، ص 567.

2 - الديوان، ص 567.

3 - الديوان، ص 553.

4 - الديوان، ص 493.

ويقابل هذا ما دلَّ على الاستهجان المرتبط بالهزيمة والانكسار زارعا المرارة والألم:

- (لو قدروا لقتلوا حتى الخيال

<sup>(١٠٠)</sup> ثم يردني إلى المكان واقعي المهين

وفي ضلوعي الشوك والصبار

وفي فمي مرارة اليقين<sup>(١)</sup>

- (آه يا ذل الإسار!

حنظلا صرتُ، مذاقي قاتلٌ حقدي رهيب ... صخرةٌ قلبي وكبريتٌ وفوارةٌ نار<sup>(٢)</sup>

حدث التحوُّل الذي يأتي معه التساؤل لا يرنو لإجابة فهي مُتَعَيِّنة، ولكنه الواقع والشعور

بالقهر:

- (ولماذا شجر التفاح صار اليوم-

زقوما،

(...) كان قومي يزرعون الأرض يحيون-

يحبون الحياة<sup>(٣)</sup>)

ولازم قولها إن الوافدين لا يزرعون أرضا ولا يحبون الحياة، بدليل تحوُّل التفاح - وهو من ثمر

الجنة- إلى الزقوم وهو من خصائص جهنم...!، ليتحوُّل الوافدون إلى الأشواك صورةً من الطبيعة لهم

بتقنية الإسقاط، ليعادل الاحتلال الصخر والأشواك والصلب، وكلها تنمي القساوة وتظهر العقر وقلة

الخصب:

- (وتلف الريح أيامي على الدرب العصي

مع شعبي، ويلاقينا على حافته -

صخر وأشواك وصلب<sup>(٤)</sup>)

والحال ذاتها مع الحيوان في خاصيتي الاستهجان والقبول، فاختارت للاحتلال الأول، ولأبناء

الوطن الثاني:

## 2.1- الطبيعة الحية (الحيوان):

1 - الديوان، ص 496.

2 - الديوان، ص 531.

3 - الديوان، ص 536-537.

4 - الديوان، ص 540.

ص	المكروه المستهجن	الشاهد	المحبوب المقرب	الشاهد
485	الأفاعي	لو أن الأفاعي الهوالك ليست تعربد.. وتحفر قبرا لأهلي وشعبي		
486			فرخي حمام	لكنْتُ إلى جنبك الآن عند- شواطئ حبك أرسى سفينة عمري لكنَّا كفرخي حمام
489			الطير × 4	وسياتي الطير
493			غزالتى × 2	يا كرم يا غزالتى....
513	البوم/الأشباح	وكان هناك جمع البوم والأشباح غريب الوجه واليد واللسان		
515			حصان × 4	أحبائي حصان الشعب جاوز كبة الأمس
516	الغربان	لن نرتاح حتى نطرد الأشباح والغربان والظلمة		
533	أفاعي	تلتف من حولي أفاعي تخنق الزهر		
538			طائر	وعلى الساحة طائر خرق السهم جبينه
544	الأفعى	والأفعى تلوت وأتمت ببراعة اكتمال الدائرة		
551			طائري	أراه طائري الذي يطير، يهجرني قبل الأوان
552			طائري	تلقف طائري الذي يطير
559	وحش الظلام	نسرا فنسرا غالهم وحش الظلام	نسر × 2	نسرا فنسرا غالهم وحش الظلام
564			أفراخ عصافير	أفراخ عصافير صغيرة... ترنو وتحدق بالأشياء...
565			قط/عصفور	في قط يربض... في عصفور ينفض أجنحة مبتلة
566	جراد القحط	حين جراد القحط اندلق سيولا من خوذات الجلد	حصان	كان النهر وراء الأفق حصانا يعدو
597	ثعبانا	...يزحف ثعبانا ويفح بألف لسان		

إن في استخدام الحيوان صراعا بين الوافدين في قوّتهم، وبين أهل الوطن في مقاومتهم رغم الضعف وقلة الحيلة. وبدا الاحتلال حيوانا ذا سم وشؤم وغدر وإفناء وإفساد، ماحيا الحياة وناشرا الرعب. وبدا أهل البلد في صورة لطيفة فيها جمال وقوة وكبرياء، تحدوهم الرغبة في الحياة دون فكر الإفناء إلا ما استُكروهوا عليه بفعل المقاومة. وتبقى الإشارة إلى أن الحزن والضياع تعبير عن فقدان والنقص، قد ارتبطا بصورة الطائر العائد بعد الخلاص المؤكد، والانفلات من القيود، وسيستقر في الشجرة استقبالا، أو بصورة الغزال المغدور به، أو النسر الشهيد، أو الحصان في قوته التي تصنع الفرق في المقاومة، تقابلها الأفاعي والبوم والأشباح والغربان وجراد القحط ووحش الظلام مسببةً للفقدان، وكل قطب منهما قطب في صراع الوجود. غير أن الاستثناء يشمل لفظ الطير<sup>(1)</sup> ليدل في هذا الموضوع وفي آخريين دون غيرها على ما لم ترده الشاعرة في باقي الخطاب الشعري، إذ هو هنا الرغبة في الإثم. ولفظ الكلاب مصروف لأبناء الوطن ووصف لحقهم بفعل الاحتلال<sup>(2)</sup>.

ولفظ التنين الخرافي بديل عن العالم<sup>(3)</sup> في سكوته عما جرى في فلسطين، وكيف يكون الرد وتلتهب المقاومة. وجاء لفظ (الفيل) في سياق فاصل زمني بين وضعين مختلفين<sup>(4)</sup> ينهي آخرهما سابقه. فعدا هذه المواضع فكل لفظ لحيوان يصرف للمحتل في جبروته أو لأهل البلد في مقاومتهم ورفضهم للدخيل.

لم يقتصر استخدام الطبيعة في انفعال فدوى الشعري على الطبيعة الحية بل تعداها إلى الطبيعة الميتة، فضاءً تسبح فيه الكائنات، أو تجد فيه حياتها كالسما والشمس والقمر والليل والنهر والرياح والأمطار والسحب وغيرها، وهو ما يبيده الجدول التالي:

### 3.1- الطبيعة الصامتة (الضياء والنور):

<sup>1</sup> - الديوان، إلى السيد المسيح في عيده، ص501، وفيها تقول : (وخطة العالم ريش فيهم طير- الإثم). وفي (رؤيا هنري) ص417: (يحوم فيه طائر الخراب). وفي (كوابيس الليل والنهار) ص 588 قولها: (في كل مكان طير الموت ينشب مخلبه...). وفي هذه الملفوظات جميعا يستهجن الطير ويكرهه بالإضافة النحوية.

<sup>2</sup> - الديوان، أهات أمام شبك التصاريح، ص530، وفيها قولها: (ارجعوا، لا تقربوا الحاجز، عودوا يا كلاب). في معاناتهم أمام شبك التصاريح من أجل العبور.

<sup>3</sup> - الديوان، إلى الوجه الذي ضاع في التيه، ص539، ولها فيها: (وأرى العالم تنينا خرافيا على باب بلادي). وفي الصفحة 541: (وهدير العاصفة يكشف اللغز ويعطي العالم التنين سر الكلمات).

<sup>4</sup> - الديوان، حكاية لأطفالنا، ص558: (وجاء عام الفيل/ ممتطيا مسافة/ تقطعها الفصول بين الموت والحياة/ تفجر الصوت العظيم بالعود والبروق/ حاملا النبوءة/ مجتئا الخرافة...). بالعودة إلى السيرة النبوية يكون عام الفيل عام انبلاج المحنة بظهور النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك جاء في آخر النص : (مغتسلا متمما وضوءه وقامت الصلاة).

## الفصل الخامس: التأويل الحر... التكرار

تترأى الحرية للشاعرة ضوءاً ونورا ورؤية واضحة، كما يبدو الاحتلال ظلماً وليلاً وعمماً، وقد عاشت العالم المرغوب عنه<sup>(1)</sup> وتريد العالم الحر المرغوب فيه كما في الجدول 05: [حقل

الحرية=النور]

ص	الضياء/النور	الظلام/الليل
481	ضياء	
482		الليل
489	الشمس	
496	الصباح/الربيع	
500	الشمس	
501		الليل
504		الليل
507		الليل 2×
513	الشمس	
515	الشمس	
517	الشمس	
534		الليل
535		الليل 2×
537	ضوء	
538		ليل
539	النور	الظلمات
540	قمر	
541	النجم/أنجما	الليل
545	الشمس	
547		الليل
548	الصباح	
549	النور	الديجور
550	النهار	الليل
551	الصباح	
554		الليل
556	الضياء	الليل
559		الظلام
560	الفجر	
561	أقمار	
562	الصباح	
563	أقمار	
564	قمر	
567	الضوء	الليل
568	الفجر	الليل

<sup>1</sup> - ينظر الفصل الرابع من هذا البحث، ص 248 - 251.

## الفصل الخامس: التأويل الحر... التكرار

الظلام/الليل		593
الليل 2x	نجم/النجوم/الشمس	594
الظلام	الضياء	596
الليل	الشمس	608
الليل/الظلام		609
الظلام/الليل	ضوء النجم/الشروق	616
الليل 2x	الشمس 2x/القمر 2x	617
	الشمس	620
	الفجر	622

إن تقابل الليل والنهار يعادل تقابل الظلام والضياء، والفجر فاصل بينهما، ليكون الضياء حريةً واستقلالاً وممارسةً للتحرر، والظلام استبدادا واستعمارا وقد مرَّ بيان ذلك في الفصل الرابع وفي تكرار هذا الفصل.

كما جرت الشاعرة على استخدام مظاهر الطبيعة الأربعة<sup>(1)</sup> وفق منطق النعمة ومنطق النقمة، فتخيرت للنعمة ما كان دالا على الثورة والرفض والغضب الشعبي، ومحिला على الحرية والاستقلال والتوعد والتخويف من يوم يينزغ فيه فجر تنقشع معه ظلمة الليل. وتخيرت للنقمة -ومن نفس العناصر- ما دلَّ على الكرب والهول وعظيم المصاب، وما نزل منزل البلاء:

### 4.1- مظاهر الطبيعة الأربعة:

تبدو مظاهر الطبيعة نعمة مرغوبا فيها أو نقمة مرغوبا عنها؛ فالنعمة تتميز بالمقومات التالية:

وأما النقمة:

+قبول	-قبول
+رغبة (أمنية/رجاء)	-رغبة
-رفض	+رفض

والحال كما يبينه الجدول 06:

النقمة				النعمة			
التراب	الهواء	النار	الماء	التراب	الهواء	النار	الماء
					السما	ضياء	الموج
جبال							
				الجبال	الرياح السحاب الهواء السما		الأمطار

<sup>1</sup> - سبق الحديث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث، وهي : الماء والنار والهواء والتراب.

الفصل الخامس: التأويل الحر... التكرار

					رياح السحاب		أمطار	484
				حجارة				485
	الإعصار الشيطاني		الطوفان الأسود					487
	صخور						جداول	488
						شمس		489
							النهر	492
							النهر	493
				الجبل				495
							المطر النهر	496
							النهر البحر	497
						الشمس		500
	صخرة							505
						السماء نجوم		508
					الرياح	النجم		510
				صخر/جبال		الشمس		514
						الشمس	النهر	515
						الشمس		517
	صخرة							531
				صحراء				533
						القمر		534
							مياه	535
	رياح الشؤم							536
						ضوء القمر		537
							بحيرات	538
				شطانها		النور	ماء	539
	صخر				الرياح	قمر	النهر	540
					العاصفة	أنجم أنجما		541
	صخرة							544
						الشمس		545
					الرياح			547
	الصخور					النور		549
	الصخور الأحجار	الإعصار			الرياح		النهر	550

الفصل الخامس: التأويل الحر... التكرار

551					الرياح			الصخور
552	جدولي							
553				تراب				
555	النهر الأمطار	الرعد			الرياح الإعصار			
556	النهر الأمطار	الضياء الرعد			الرياح الإعصار			
557				الرمال				
558		الرعود البروق			السماء			
560	الينابيع	الفجر						
561		أقمار			الرياح السماء			
563		أقمار			السماء			
564	ماء	قمر						
565					الرياح			
566	النهر						المطر الأسود سيول طوفان	
567		الضوء						الرياح الهوجاء
568		الفجر		الأحجار			طوفانه	
595	النهر	وميض						
596		القمر 2						
597								الإعصار
600					الرياح×2			
610	الأمطار نبع ماء							

لقد تعينت النعمة والنقمة من خلال التخصيص بالصفة (الطوفان الأسود، المطر الأسود، الإعصار الشيطاني، رياح الشؤم، الرياح الهوجاء)، كما تعينت باللفظ المفرد الدال على النعمة أو الدال على النقمة إلا في مواضع ينزل بعضها بدل البعض الآخر؛ فقد جرت الشاعرة على اعتماد الإعصار والطوفان والرعد والبرق للدلالة على الاحتلال في كل الانفعال الشعري إلا في المواضع التالية، فإنها تدل على الغضب الشعبي والأمل والتفاؤل في عودة الحال إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال:



- (ومعابر الريح الغضوب

والرعد والإعصار والأمطار في وطني

ترددها معي:

حريتي<sup>(1)</sup>

- (تفجر الصوت العظيم بالرعود والبروق

حاملا النبوءة

مجنتنا الخرافة)<sup>(2)</sup>

ويحتمل أن يكون الطلب بعدّ الحرية مغتصباً عند الطوفان (الاحتلال)، وما جاء معه مطالبته بها، لأنه لا يعيش الحرية بل يعيش الحرب التي لا حرية معها، ويقدر طوفان وإعصار الغضب يكون طوفان وإعصار الاسترجاع... وهما احتمالان.

لقد كان محور الطبيعة أظغى المحاور تردداً بغرض الإفصاح عن الانفعالات التي انتابتها، فوفرت لها الطبيعة ما يسعفها في هذه المواقف، إذ هي صورة للجمال والاستقرار والحب وعشق الحياة والأمل، كما هي صورة للخراب والدمار، فالطبيعة قوة وتمرد وطغيان وغضب...

وإذا كانت الحرية هي القيمة المعنوية المفتقدة والمراد تحصيلها، فما المكان الذي يتوافق بالضرورة معها، وكان سببا في هذا الشعور بالاغتراب؟

## 2- الحقل الدال على المكان:

الجدول 07:

ص	المدينة/مدينتي	الأرض	البلاد	الوطن	مكان ما
481	المدينة/مدينتي				
482	مدينتي 3×				
483	مدينتي 2×				
485		أرض	بلادي		
487		الأرض			
490				وطني	
492					الجسور
494	بيسان				الحقول
495	بيسان	الأرض 2×			

1 - الديوان، حرية الشعب، ص 555. ونحوه في الصفحة 510 منه، قصيدة (الفداني والأرض): (الريح وراء حدود الصمت تندلع، تدمدم في الربوات).

2 - الديوان، حكاية لأطفالنا، ص 557. وكما في ص 508 منه (الفداني والأرض): (هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح/أنزلي الأمطار/تظهر الهواء في مدينتي/وتغسل البيوت والجبال والأشجار).

## الفصل الخامس: التأويل الحر... التكرار

الجسر 2×					496
جزيرة					497
				القدس	499
				القدس 2×	500
				القدس 3×	501
			أرضه		505
			الأرض 3×		506
	الأوطان				507
			أرضنا		508
الربوات			أرضنا/الأرض	طوباس	509
الربوات 2 ×					510
الدور/الدار 2 ×				يافا	511
يا دار/الدار					512
	وطني		الأرض		513
الجسر					529
	وطني		أرض الجدود		535
	وطني				536
		بلادي	الأرض 2×		537
			الأرض 2×	القدس 2× المدينة 2 ×	538
		بلادي 3 ×		القدس	539
		بلادي			540
		بلادي			541
			الأرض 2×	بلدتي	542
الدار			الأرض	البلدة 2 ×	544
الدار 2 ×				البلدة	545
الدار/الحجرات					546
			أرضنا		547
			الأرض		548
	الأوطان				552
		بلادي 2 ×	أرضها 2 ×		553
الجسور/الضفتان/المنازل/الدور	وطني		الأرض		555
الجسور/الضفتان	وطني 2 ×				556
	وطني				559
	وطني				560
الضفة/المنازل					562
الضفة/المساجد/الكنائس					563
			الأرض		566
الدور/الجسر			الأرض		568

جبال فلسطين			نابلس	576
	الوطن			601
عيبال			القدس	609
بساتين الوطن/سماوات الوطن				610
	الوطن			611
			أرضي/أرضي	613-612

إن الإلحاح على المكان - باسم الأرض والوطن والمدينة واسم العلم (طوباس والقدس وبيسان) وما يُصطلح عليه بمكان ما (الجسر والكنائس والمساجد والضفتان والدور والربوات) - صرف لانتماء الشاعرة إليه؛ (لأن الوطن... هو كذلك حالة ذهنية فكرية يتوسل الشاعر لإحيائها وبث الحياة فيها بكل ما يمكن أن يعينه على بنائها وتشبيتها)<sup>(1)</sup>.

إن صور المكان بكل تداعياته شاهد آخر على الارتباط بالأرض، فمنها جاءت الحرية وفيها تسود وإليها ترجع...:

- (سأظل أحفر اسمها وأنا أناضل

في الأرض في الجدران في الأبواب في شرف المنازل

في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع

في كل مرتفع ومنحدر ومنعطف وشارع

في السجن في زنزانة التعذيب في عود المشانق

(...) سأظل أحفر اسمها حتى أراه

يمتد في وطني ويكبر

ويظل يكبر

ويظل يكبر

حتى يغطي كل شبر في ثراه

حتى أرى الحرية الحمراء تفتح كل باب

والليل يهرب والضياء يدك أعمدة الضباب

1 - بشرى البستاني: قراءات في النص الشعري الحديث، ص 188. ومنه قولها في (لن أبكي)، ص 511: (على أبواب يافا يا أحبائي/ وفي فوضى حطام الدور/ بين اليردم والشوك/ وقفت وقلت للعنين: يا عينين/ قفا نبك/ على أطلال من رحلوا وفاتوها). في الصفحتين 573 و581 من الديوان حديث عن الشوارع والأرصعة، ولكنها تتعلق بلندن لا بالوطن.

حريتي! (1)

إن افتقاد الحرية والوطن وسقوط الشهداء وطغيان الإفناء وتواصل موج فقدان يؤجج الانكسار والشحن، ويسهم في إظهاره وإظهار حقل الاحتلال بوصفه علّة الوضع القائم.

### 3- الحقل الدال على الاحتلال:

الجدول 09:

ص	ما دلّ على الاحتلال	الشاهد
482-481	البلاء	اختلفت بغصة البلاء مدينتي الحزينة
483	الطاعون	يوم فشا الطاعون في مدينتي... هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح
533-485	الأفاعي الهوالك / الأفاعي	لو أن الأفاعي الهوالك ليست تعربد في كل درب... وتزرع موتا و[نار] (485). تلتف من حولي أفاعي تخنق الزهر تفح السم (533)
487	الإعصار الشيطاني / الطوفان الأسود	يوم الإعصار الشيطاني... يوم الطوفان الأسود... لفظته سواحل همجية للأرض الطيبة الخضراء.
492	لعنة سوداء	هم... يرابطون كلعنة سوداء.. قد نسفوا الجسور
495	التتر	واغتصب الأرض التتر!!
497	السجان / النازي / النازية	أخشى على دنياكم الصغيرة من قصص السجين والسجان من قصص النازي والنازية.
500-531-	الجلاد	القدس... تنزف تحت يد الجلاد (500). مرّغ الجلاد جرحي في الرغام (531). ويُقع الجلاد نفسه بقصة العجز.. (547).
507-568	الليل	ترتمي على المدى سواحل الليل الجهنمية (507). يطلق رشاش الأحجار! ... يقاتم الليل... (568)
513	جمع البوم والأشباح / غريب الوجه واليد واللسان	وكان هناك جمع البوم والأشباح غريب الوجه واليد واللسان وكان يحوم في حواشيتها...
516	الأشباح / الغربان / الظلمة	لن نرتاح حتى نطرد الأشباح والغربان والظلمة
534-554	ليل التيه / الليل	والحب شبح ضائع يقصيه ليل التيه عن عيني وقلبي (534). نحر الليل القمر (534). وأظل رغم الليل أقفو خطوها [الحرية] (554).

<sup>1</sup> - الديوان، حرية الشعب، ص 555-556.

536	وحش الغاب /رياح الشؤم	كان وحش الغاب يحسو الخمر في حان الجريمة ورياح الشؤم تعوي في الجهات الأربع
554	القيد	وأظل رغم القيد أعدو خلفها [الحرية]
559	وحش الظلام	نسرا ففسرا غالهم وحش الظلام
566	المطر الأسود/جراد الققط/طوفان الحلكة	زخّ المطر الأسود...جراد القحط اندلق سيولاً...، الأرض تميد...وتسقط بيلعها طوفان الحلكة.
567	غاب الليل الموحش/ظل الصبار المر	كبروا في غاب الليل الموحش في ظل الصبار المر
568	الطوفان/الليل	رشاش الأحجار... يقتحم الليل وطوفانه
597	ثعبانا	يتسلق يقفز يزحف ثعبانا ويفح بألف لسان
610	الموت	أيها الرافض للموت هزمت الموت حين اليوم مت

لقد ظهر الاحتلال في خمسة أشكال:

- الأول: الإنسان المستبد المتسلط الظالم الناهب لحق الغير في ألفاظ: التتر والسجان والنازي والجلاد وغريب الوجه واليد واللسان.
  - الثاني: الطبيعة المدمرة المفنينة في ملفوظاتها: الطوفان الأسود وطوفان الحلكة والإعصار الشيطاني ورياح الشؤم والمطر الأسود. وكلها في ذاتها وفي أوصافها تؤدي معنى التدمير والإفناء.
  - الثالث: الحيوان المستهجن المكروه عادةً في ألفاظ: الأفاعي والبوم والأشباح والغربان ووحش الغاب وجراد القحط. وهي في جملتها تتعيّن مع معاني الترويع والتخويف وامتلاك الرغبة في الإفناء والاعتداء، وهي الهوام التي لا يستظرفها الإنسان.
  - الرابع: الوباء الممقوت كما في ملفوظاتها: البلاء والطاعون واللعنة واللعنة السوداء.
  - الخامس: بدا الاحتلال بشيء من التفرد نباتا (الصبار المر)، ومكانا (غاب الليل الموحش)، وزمنا (الليل والظلمة والحلكة والعممة)، وعلى الصورة التشبيهية قيّداً.
- فأما النبات وإن كان من الأرض [المكان] فهو مخصص بالصفة (المر)، فحتى إن رأى فيه الإنسان نفعاً وحاجة؛ فإن صفة المرارة تخرجه من دائرة النفع والحاجة إليه، فهو على غير الطبيعة المعروفة، ليصير إلى الكراهة والتك، وهو للدلالة على الاحتلال معادلاً غاب الليل الموحش، صفتان لأجلهما نشأ الرفض والثورة. وهذا احتمال. والاحتمال الثاني أن يكون ملفوظها:

- (كبروا في غاب الليل الموحش، في ظل الصبار المر)<sup>(1)</sup>

مصروفًا للمقابلة بين غاب الليل المرفوع للاحتلال والصبار المر المرفوع لأهل البلد، إذ في الصبار صغر وأشواك وصعوبة تناول، فإذا زاد بالمرارة صفةً صار دالا على المقاومة والشدة والبسالة عند التلميح به للمناضلين المكافحين من أجل القضية، الذين امتزجوا به فأكسبوه من رفضهم طعاما لا عهد للناس به، ليصبح (ظل الصبار المر) مكانا عينيا، تنشأ فيه الروح الراضية الثائرة وتنمو إلى أن تدك أسوار المعتصب.

وعلى هذا الأساس؛ يصير هذا المكان على صغره فتيل انفجار داخل (غاب الليل الموحش) بوصفه مكانا أوسع، قد اكتسب فيه العدو (الليل) صفة التوحش التي ولدت صفة المرارة في الأول. وإذا كان الوصف (الموحش) يخص الغاب؛ فإن الوحشة من الليل/الاحتلال، بما يقضي بعدم وجود هذه الصفة من قبل، فلما اكتسبها، اكتسب الصبار صفته بالموازاة، فعلا على فعل، ليدل كل وصف على حال التضاد والتناقض التي تميز مكان الصراع.

وأما الزمان (الليل والظلمة والحلقة والعممة) والقيود استبدالاً للاحتلال فلأن:

[الليل/الظلمة/الحلقة/العممة] [القيود]

+عمى (انعدام رؤية) +تسلط

+خوف +خوف

+ضياء وتيه +ضياء وتيه

-حركة وفعل -حرية

وعلى هذا يبدو القيد زائدا على الليل بالتسلط، والظاهر أنهما سواء؛ لأن فقدان الحركة والفعل مع الليل ينقص عنصر الحرية، ويفرض التريث الإيجابي المعادل للتسلط. ليجتمع بهذا الاستبدال للاحتلال تعادل دلالي ليس هناك ما هو أبشع منه، ولا أشد منه وقعا سيئا على النفس، وقد أنهت هذا الحقل بصفة الإفناء الملازمة للاحتلال وهي الموت.

4- الحقل الدال على الاغتراب (الموت والحزن والانكسار) والشجن):

الجدول 08:

ص	لفظ مفرد/	ما دلّ على الاغتراب (الموت والحزن والانكسار)
482-481	مدينتي	يوم رأينا الموت والخيانة/ يوم اندحار الموج/ اختنقت بغصة البلاء مدينتي

<sup>1</sup> - الديوان: أنشودة الصيرورة، ص567.

## الفصل الخامس: التأويل الحر... التكرار

	الحزينة/ تَرَمَد الرجاء
482	والحزن في مدينتي يدب عاريا/الصمت فاجع/مدينتي الصامتة الحزينة
483	أهتف من قرارة الأحزان بالرياح
485	لو أن الهزيمة لا تمطر الآن أرض بلادي حجارة خزي و عار
486	لو أن قلبي ... لا ترعف دماه على خنجر الانكسار
491-490	طاحونة العذاب والألم /من شقائنا من حزننا الكبير
491	يا جرحنا العميق أنت يا عذابنا يا حبنا الوحيد
492	يعجزني... العبور
493	حرموني منك.../الموت رابض على النهر/الموت رابض لكل مَنْ عبر
494	يغرقتني في لجه الحنين
495	واغتصب الأرض التتر/مات جدك الحزين/مات أبي من حزنه/يتعبني الحنين يا عمر
496	يردني إلى المكان واقعي المهين/في ضلوعي الشوك والصابار / في فمي مرارة اليقين
498	ستحملون العبء مثلنا
499	في عيدك تصلب هذا العام أفراح القدس
500	قباب الأجراس حداد وسواد ملتف بسواد/القدس على درب الآلام/تجلد تحت صليب المحنة/ تنزف تحت يد الجلاد/والعالم...لم يرفع في المحنة شمعة/لم يذرف حتى دمعة تغسل في القدس الأحزان
501	من بئر الأحزان من الهوة ... من قلب الويل يرتفع إليك أنين القدس
504	كل الكلمات اليوم ملح لا يورق ولا يزهر
505	بهرة الذهول والضياح/يحمل عبء حبه/أحمله كصخرة مشدودة بعنقي
556	موكب الفرح لم يأت بعد
557	مشاعل الدماء
510	عيون هاجر منها النوم/وراء حدود الصمت/تركض في دائرة الموت/احترق النجم الهاوي
511	فوضى حطام الدور/بين الردم والشوك/قفا نبك على أطلال من رحلوا
512	أين الحلم الآتي وأين همو/لم ينطق حطام الدار/الصمت والهجران
513	وغص القلب بالأحزان/ضبابية الدمع الرمادية /جفني راعش مبلول وقلبي يائس مخذول
514	كيف الجرح يسحقني/كيف اليأس يسحقني/كيف أمامكم أبكي
515	حصار النحس والعتمة
516	فوق جباهنا التعب/لن نرتاح/يا إخوتي في الجرح...
529	اختناقني، نفسي المقطوع محمول على وهج الظهيرة/يجلد القيظ جبينني
530	يسقط ملحا في جفوني/أه/مرايا ألم فوق شباك التصاريح/إنسانيتي تنزف، قلبي يقطر المر، دمي سم ونار/أه وامعتصماه!
531	أه يا ثار العشيرة/أه جرحي، مرغ الجلاد جرحي في الرغام/أه يا ذل الإسار
532	قتلوا الحب بأعماقي
533	أه/بين قلبي ورفاه الحب صحراء/تلتف من حولي أفاعي تخنق الزهر تفح السمّ فيه
534	غامت صور الأحلام/أه/يا عذابا يتنامى/يا جراحا تتأوه
535	وطني... قلبه الصامت في ليل الهزيمة ذاهلا أسيان/كنت أهذي

536	ما كنت في الهول أعي/لن نتلاقى أبدا/نخدع الحزن فلا نبكي/ آه يا حبي لماذا؟! ولماذا شجر التفاح صار اليوم زقوما...
537	أتهاوى كذبيحة/أرى الهوة تدعوني
538	الأسى يهطل، ليل القدس صمت وقيام/تنكمش القدس كعذراء سبية/طائر خرق السهم جبينه/ على الأرض دخان وحطام/بحيرات حزينة
539	الأسى يطفح من شطآنها.../آه يا حبي لماذا.../لماذا حبس النور/بحار الظلمات
540	آه/يلاقينا ... صخر وأشواك وصلب
542	وأنا أخبط في تيه الهزيمة
543-542	هذه الأرض تحصدنا نار الجريمة/تنكمش اليوم بحزن وسكوت/سيبقى قلبها المغدور حيا لا يموت
544	غرفة التعذيب
546	ارتفعت ثم هوت غرف الدار الشهيدة/انحنى فيها ركام الحجرات.../الدمع...
548	...ألم الأرض/وردة الدماء في الجراح
549	قلبك المعذب المصهور/تحت غمرة القتام
551	يهجرني قبل الأوان/يدافع الرياح ثم يهوي
552	يهجرني قبل الأوان/أعشق موتي تحت ظلك المضرع الغريق
553	أموت على أرضها/أدفن فيها
554	تحت الرصاص وفي اللهب
557	عنق تخر فيها عقدة الحبال/دمه مداد
559	آه يا وطني/انفرطت عقود دمائمهم/ذهب الذين نحبهم
560	أورقت صمنا على شففتي أحزاني/ تتساقط الكلمات صرعى مثلهم جثثا مشوهة/من عيني ومن قلبي تسيل دماؤهم /أواه يا وطني الحزين/كم ذا شربت وكم شربنا في مهرجانات الأسى والموت كاسات العصير المر /عند الينابيع الحزينة سوف نبقى ظامئين.
607	كانت الغربية والداء له زادا وماء

أدى الشعور بالحزن والقهر جراء الظلم الذي تتعرض له الشاعرة مع أبناء الوطن إلى الإحساس المر بالانكسار والهزيمة، وقوى لديها الشجن والحنين والحلم بزمن تنجلي فيه الغمة، فجعلت من قضية شعبها هدفا حياتيا لا بد أن يتحقق:

- (يا وطني الحبيب لا، مهما تدر

عليك في متاهة الظلم

طاحونة العذاب والألم

لن يستطيعوا يا حبيينا

أن يفتأوا عينيك، لن

ليقتلوا الأحلام والأمل



وليصلبوا حرية البناء والعمل  
ليسرقوا الضحكات من أطفالنا  
ليهدموا، ليحرقوا، فمن شقائنا  
من حزننا الكبير، من لزوجة  
الدماء في جدراننا  
ستبعث الحياة فيك من جديد<sup>(1)</sup>

إن مشاعر الغربة والضياع والتمزق ووصول الحزن إلى منتهاه مرتبطة بمأساة الإنسان ومأساة المكان، وبمأساتهما معا في افتقاد القيمة المعنوية (الحرية)، ولذلك تنقاد نفسية الإنسان نحو التخاذل والقهر والمكابدة والغربة<sup>(2)</sup>.

- (من بئر الأحزان، من الهوة-من-

قاع الليل

من قلب الويل

يرتفع إليك أنين القدس<sup>(3)</sup>

وحقيقة الأمر قائمة على الاحتلال بكل ما أوقعه وأحدثه في حياة الآمنين بعد ترويعهم.  
لقد ظهر صراع الإنسان مع الإنسان بظهور زمن الثورة والرفض فهما وسيلة لتحقيق زمن الهوية والوطن بوصفهما غايةً وهدفاً، وبينهما زمن للحلم والحنين يسري على الأرض والإنسان، ويسري على الحرية والعودة قيماً مفتقدةً، وإلى حين بلوغ هذه المرامي يبقى الكل يحيا داخل بنية الاغتراب.

<sup>1</sup> - الديوان، حي أبدا، ص 490.

<sup>2</sup> - ينظر: بشرى البستاني: قراءات في النص الشعري الحديث، ص 155.

<sup>3</sup> - الديوان، ص 501.